

الإسلام - رضى الله عنه - إن المسألة هنا تقديرية ، وتختلف حدودها من عصر إلى عصر ، فلا شك أن ما كان بالأمس فضيلة ، قد يصبح اليوم فريضة .

« وعلماء الطبيعة المؤمنون مكلفون أيضاً بتبصرة غيرهم بعلومهم وبما انتهى إليه بحثهم . وعلى القادرين منهم أن يتصدوا لخدمة كتاب الله العزيز . فمن قبل أسست علوم النحو والصرف والبلاغة وفقه اللُّغة وما إليها من فنون العربية وآدابها ، لأسباب أهمها تقديم العون لدراسة القرآن الكريم وتدوين تفاسير له . ومن ثمَّ سميت بالعلوم الخادمة لعلم التفسير الشريف . واعتقد أن العلوم الطبيعية الحديثة ينبغي أن تتقدم لتنال شرف هذه الخدمة في هذا الزمان . وهذا بالتحديد هو وظيفتها العظيمة المتواضعة . ولكن على كل من يتصدون للقيام بهذا الواجب أن يتخذوا الأهبة الكاملة للقيام به . ففضلاً عن تمكنهم في علومهم ، عليهم أن يلموا إماماً طيباً بأسرار بلاغة القرآن ، وأن يطلعوا على أمهات كتب التفسير اطلاع المتعلم المتأنى ، لا اطلاع المتهجم العجول ، وعليهم أن يسألوا أهل الذكر فيما لا يعلمون . . وينبغي ألا يُترك هذا الأمر الجليل لكل من هبَّ ودبَّ !

« وآيات القرآن الكريم ميسرة للنظر الفطرى البسيط ، والنظر المتأمل المتعمق ، لأنها أرسلت للناس كافة وفي كل زمان . فالسموات - مثلاً - آيات رائعة معجزة عند الأمي وعند عالم الفلك المتخصص على السواء ، كل منهما بقدر إدراكه . والإبل في خلقها آيات تبدو للبدوى وتخاطب فطرته السليمة ، وما زالت - في الوقت نفسه ، وهي بالذات - تتحدى بحوث العلماء في القرن العشرين . . وهكذا في عشرات من الأمثلة ، وهذا سر من أسرار بلاغة القرآن : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (١) .